في الخطب والمهاين ونفثوا في العقد والسحاير وتقاولوا في
القل والكثر وتساجلوا في النظم والنثر فما راعهم إلا رسول
كريم بكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل
من حكيم حميد أحكمت آياته وفصلت كلماته وبهرت بلاغته العقول
وظهرت فصاحته على كل مقول وتظافر إيجازه وإعجازه وتظاهرت
حقيقته ومجازه وتبارت في الحسن مطالعه ومقاطعه وحوت
كل البيان جوامعه وبدائعه واعتدل مع إيجازه حسن نظمه وانطبق — لفظه
على كثرة فوائده مختار لفظه وهم أفسح ما كانوا في هذا الباب — أفصح
مجالا وأشهر في الخطابة رجالا وأكثر في السجع والشعر ارتجالا — سجالا
وأوسع في الغريب واللغة مقالا بلغتهم التي كانوا بها يتحاورون
ومنازعهم عنها يتناضلون صارخا بهم في كل حين ومقرعا لهم
بضعا وعشرين عاما على رؤوس الملأ أجمعين أم يقولون
افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون
الله إن كنتم صادقين وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا
فأتوا بسورة من مثله إلى قوله ولن تفعلوا وقل لئن اجتمعت
الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن الآية وقل فأتوا — وقيل
بعشر سور مثله مفتريات وذلك أن المفترى أسهل ووضع
الباطل والمختلق على الاختيار أقرب واللفظ إذا تبع المعنى
الصحيح كان أصعب ولهذا قيل فلان يكتب كما يقال له وفلان — وكذلك
يكتب كما يريد وللأول على الثاني فضل وبينهما شأو بعيد — وبعد
فلم يزل يقرعهم صلى الله تعالى عليه وسلم أشد التقريع ويوبخهم

غاية

غاية التوبيخ ويسفه أحلامهم ويحط أعلامهم ويشتت نظامهم
ويذم آلهتهم وآباءهم ويستبيح أرضهم وديارهم وأموالهم
وهم في كل هذا ناكصون عن معارضته محجمون عن مماثلته يخادعون
أنفسهم بالتشغيب بالتكذيب والإغراء بالافتراء وقولهم إن هذا
إلا سحر يؤثر وسحر مستمر وإفك افتراه وأساطير الأولين
والمباهتة والرضا بالدنية كقولهم قلوبنا غلف وفي أكنة مما
تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب ولا تسمعوا
لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون والادعاء مع العجز بقولهم
لو نشاء لقلنا مثل هذا وقد قال لهم الله ولن تفعلوا فما فعلوا
وما قدروا ومن تعاطى ذلك من سخفائهم كمسيلمة كشف
عواره لجميعهم وسلبهم الله ما ألفوه من فصيح كلامهم وإلا
فلم يخف على أهل الميز منهم أنه ليس من نمط فصاحتهم ولا جنس
بلاغتهم بل ولوا عنه مدبرين وأتوا مذعنين من بين مهتد
وبين مفتون ولهذا لما سمع الوليد بن المغيرة من النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم إن الله يأمر بالعدل والإحسان الآية قال والله
لحلاوة — إن له حلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أسفله لمغدق وإن أعلاه
أبو عبيدة — لمثمر ما يقول هذا بشر وذكر أبو عبيد أن أعرابيا سمع رجلا يقرأ
فاصدع بما تؤمر الآية فسجد وقال سجدت لفصاحته وسمع آخر
رجلا يقرأ فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا فقال أشهد أن مخلوقا
لا يقدر على مثل هذا الكلام وحكي أن عمر بن الخطاب رضي الله
تعالى عنه كان يوما نائما في المسجد فإذا هو بقائم على رأسه

King Saud University
Copyright © King Saud University